وهكذا فإن القيصر الشهير « ذا البلاط الذهبي » الذي كان قد لقيه الرحالة الغربيون قد تحول الآن إلى كائن غريب مثير للسخرية يحمل تاجه مائلاً قليلاً على رأسه ويترنح في القصر بعد العشاء برفقة خظيات جديدات من نوع جديد . ولم يعد ثمة من أرداتشيف مستقل اريب ولا سيلفستر كفي ليرفع يده باسم الملك سيد الجميع ، فغرائز القيصر الجديدة هي التي كانت تتحدث إليه في أذنيه عن النساء المرغوبات وعن زواج جديد . واعلن إيڤان انه يريد الزواج من إحدى اخوات عدوه ملك بولونيا ثم اصبحت هذه النزوة التي صدرت عن رجل ثمل فكرة ثابتة. وقد بدا له في غروره انه ليس عليه إلا ان يطلب من سيجسموند أوغست أجمل اخواته حتى يحصل عليها على الفور . وهكذا طلب من سفرائه أن يتفحصوا هؤلاء الفتيات ويروا من هي التي ينبغي من بينهن إرسالها إليه . كانتا اختين آنا وكاترين وكان على السفراء أن يختاروا من بينهما أكثرهما امتلاء . وإذا كانت إحداهما قد تجاوزت الخامسة والعشرين فهذا سبب كاف لغض النظر عنها . كان ينبغي الا تكون يابسة العود وإنما سليمة وبدون عاهة أو عيب .

وكان القيصر يعيش بين مخالب حياة داعرة دمرت حياته الدينية نفسها . فقد نسي الصيام او اهمله ولم يعد يذكر الا قسوة ماضيه وتجربته مع النبلاء في صغره فأخذ يعامل حتى الأتقياء الحقيقيين من البويار على انهم منافقون ويبدأ انه أغفل في تصرفه هذا شرف روسيا . وفي إحدى الليالي تسبب بعض مدعويه الذين كانوا يحملون أقنعة على وجوههم بقيام ضجة في القصر . وكان القيصر الثمل نفسه يحمل قناعا أيضا وحاول أن يضع قناعا على وجه الأمير ريبنين فرفض هذا مبادرته وانتزع القناع من يد القيصر ورماه على الأرض وداسه بقدميه . « يستطيع الملك أن يجعل من نفسه مهرجا اما انا البويار النبيل وعضو المجلس فلا أريد أن اكون الأحمق الغبي » ، هكذا قال الأمير . وغضب إيڤان غضبا شديدا وطرده من القصر . وبعد بضعة أيام أرسل من اغتاله. ويروي كوريسكي إنه قتل بينما كان راكعا في الكنيسة ، ولكن كوزبسكي